العدد (1947) السنة الثامنة - الخميس (28) تشرين الأول 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

على هامش الصراحة

صديقي الذي لا تعرفونه

■ إحسان شمران الياسري

صديقي (هاشم) لا يعرفه القراء، وهذا من سوء حظهم، فهو طيب القلب، صادق القول، ومن فرط صدقه وأمانته أسموه (قبل أن يتزوج) بـ (أبي بكر) تأسياً بالخليفة الأول، الصديق (أبو بكر) رضوان الله عليه.. وعندما جاءه الولد، أسماه (بكر)، فأصبح (أبو بكر).

صديقي (هاشم) ليس له قصص تستحق عرضها على الجمهور، ولا هو صاحب بطولات.. ومن يراه أول مرة لا يُحبه.. فلماذا نُقحم القراء في حديث عنه، ولماذا أعرّض علاقتي به للخطر.. لا أدري.

صديقي (هاشم) لا يُصلّي، ولا يصوم، ولا يكذب، ولا يكفر، ولا يحلف، ولم يرتكب بقية المعاصي على حد علمي.. ينامُ بعد الثالثة صباحاً ويأتي للدوام نصف نائم أول ساعة. ولكنه بعد هذه الساعة يصبح شُعلة من العمل وطاقة هائلة من الإبداع والابتكار، ويعبّرون عن أمثاله بـ (دودة شغل)..

مرة.. حدث شجار مع أحد المراجعين، فطلب المدير أن يحضر المتشاجران.. كان أحدهم صديقي هاشم، والآخر المواطن.. طلب المدير من الأخ هاشم أن يجلس، باعتباره موظفاً، فيما أبقى المراجع واقفاً وطلب منه أن يخبره القصة.. وراح المواطن يروي حكايته..

يقول المدير: بعد أقل من دقيقة، سَمعتُ شخيراً، كان أبو بكر قد نام.. فطلبتُ من المواطن الانصراف ووعدته بالوقوف معه و (حقك علينا).

يقول صديقي هاشم، كُنتُ أجلسُ مع والدي في المقهى مع أحد أصدقائه.. قال والدي يمدحني لصديقه:

((هذا أحسن ولدي.. هذا اللي على كلبي.. هذا اللي مرّيحني.. هذا.. هذا)) وبعد دقيقة أخذ والدي يشتكي من زوج إحدى أخواتي، ومن أُختي بالأحرى، فتدّخلتُ في الحديث بكلمة إنصاف لأختي وزوجها.. عندها صارَ أبي عصبياً والتفت إلى صديقه وكأنه يؤكد حديثاً سابقاً:

((مو كتلك، هذا أنكَس ولدي)).

ومرة.. سألته: أيهما أذكى، (الهايشة لو المطي)..؟

فأجابني واثقاً:

((لا ولك.. المطي هواي أذكى.. المطي مثقف، ويفتهم.. يعني من يريد يعبر الشارع يوكف، ويباوع، وبعدين يعبر.. لكن الهايشة غبية.. من تريد تعبر، تدّك راسها مثل المطي، وتعبر))!

((وهسّه.. وين رّباط الحجي؟.. ما أدري))!!

ihsanshamran@yahoo.com

نصر حامد أبو زيد وانتزاع الحاضر من سلطة الماضي

■ د. لقاء موسى فنجان

قدم أبو زيد ضمن مشروعه الفكري إجابات إبداعية تنتشل الفكر العربي الإسلامي الراهن من أزمة التكرار والتقليد والاغتراب، إذ طرح إشكاليات في عمق الثقافة العربية الإسلامية كالتجديد والتقليد والإسلام والحداثة انطلاقا من قراءات متعددة للنص القرآني المشكل الأول لهذه الحضارة. وقد يجوز وصف هذه القراءة التي قدمها أبو زيد بأنها تأويل يستخدم منهجيات معاصرة ومتابعات نقدية بعيدة عن تكرار المسلمات متجاورا العوائق النفسية والمعرفية للمثقف العربي.

اقترح أبو زيد الأخذ بالبعد الاجتماعي والتاريخي في التعامل مع النصوص القرآنية ونبه للجانب البشري في القرآن الكريم ويقصد به جانب التلقي. فالقرآن بحسبه كتاب الله المنزل على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو الجانب الإلهي، ولكن يظل الفهم والتفسير والتلقي الجانب البشري الذي يتغير وفقا للأبعاد التاريخية والاجتماعية التي يفرضها كل زمن وتختلف تماما عن الزمن الذي سبقه، لذا رفض أبو زيد ان تظل العلاقة علاقة استلاب، فما زالت الثقافة العربية الإسلامية تحت هيمنة النص مما حجب لسنوات طويلة رؤية علمية متجاوزة لم تعد استشرافية ولا قادرة على تغيير بناءات نظرية متآكلة.

لقد ظهرت مؤلفات (أبو زيد) في مرحلة نزاع حول من يملك الحق في تفسير النص القرآني: التيارات الدينية السياسية المتغلبة على الساحة العربية ام التيارات الفكرية العلمانية التي توظف آليات العلم وتتحرر من سلطة الآخر بما فيها النصوص ذاتها؟ فخلق علاقة الحوار بين القارئ والنص يدخل فيها الفكر محاورا للتراث ذاته وليس مع مجرد نص مكتوب من الماضي. لذا فقد واجه أبو زيد صراعا قويا مع القوى الماضوية التي تستمد سلطتها مع بقاء الحل كما هو وتدعي ما ليس لها من احتكار الحق في التعامل مع ما هو مقدس وافتراض القدسية لغير المقدس أصلا. فكانت مواجهة شجاعة تمثلت بمواصلة الإنتاج الفكري الذي أغنى حياتنا الثقافية والفكرية الراكدة وأضفت عليها الموضوعية والتحرر. لقد آمن أبو زيد بان الإصلاح طريق الباحث الحق إلى تحرير مجتمع غارق في حمى الجاهلات ومطوق بالفتاوى الدينية الابتزازية التي تلعب على وتر العاطفة لتصل الى مكاسب سياسية ومادية، مستخدمة الفقراء ومتسلطة على رقابهم.

وقد دافع عن الثقافة الإسلامية ضد من يتهمها بأنها ثقافة تنتج الدكتاتورية فأكد أن الإسلام في نصوصه الأصلية ضد التعصب، ولكن في عصور الأزمة يعطى تفسير ديني للتعصب وهذا الأخير ينجم من الصراعات السياسية على السلطة التي تحتكر الدين. لذلك يرى وجوب الفصل بين السلطة السياسية والدين لان الدولة نتاج جملة من المفاهيم منها سلطة الدولة ومفهوم الشعب، ولما كان الشعب ينقسم الى (أديان ومذاهب وطوائف) متعددة فان التعدد لا يتلاءم ومفهوم الدولة الدينية التي تقصي المخالفين في النهاية، لذلك ناقش أبو زيد وجود تيارين في الفكر الإسلامي التيار الأشعري والتيار المعتزلي ونظر في علاقة هذا الفكر بسياقه الاجتماعي والتاريخي وناقش استمرارية التيارين في التاريخ الإسلامي، فالوهابية على سبيل المثال امتداد للحنبلية والجوزية وابن تيمية، وكلها صاغت مفهومات للدولة وأقامت لاهوتاً يساند الدولة. كذلك الفكر المعتزلي فرغم تطور آلياته الفكرية والعقلية إلا أنهم حكموا على أنفسهم بالموت حين قبلوا باسم تحالفهم مع السلطة أن يضطهدوا خصومهم ليعاملهم في ما بعد خصومهم بالمثل. ويرى أنهم لو اعتمدوا الحوار مع خصومهم الاشاعرة لكانوا قد أسسوا تاريخا جديدا للحوار الإسلامي. لكن هذا لم يحدث مما رسخ الواحدية وإقصاء الآخر في التفكير السياسي الإسلامي.

لقد قدم أبو زيد مشروعا ينطوي على إشكال الدعوة إلى العقلانية والتقدم وتحرير الدين من الأوهام والأساطير لذلك اصطدم مع واقع الثقافة العربية التي تجاوزت ثنائية الدين والعلمانية منذ زمن وتبنت ثقافة الدكتاتورية وإقصاء الآخر.

لذا يمكن وصف نتاج الدكتور أبي زيد بأنه بحث في آليات الخروج من هيمنة النص الذي يبدو في بعض الأحيان لا يتلاءم مع الواقع موليا الأهمية للمصلحة على النص، وقد ساهمت طبيعة النص القرآني وطبيعة اللغة العربية في هذا التنوع في الفهم والاستنتاج فكان نتاجه العلمي عودة للحركة الفكرية العربية تسير مع المشروع الفكري الذي عمل عليه معاصره محمد عابد الجابري ولكن في التراث الإسلامي مستعيناً برؤى معاصرة.

■ قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات

الإعـــلام ودوره فـي العـــراق

تنبهت الأنظمة الديكتاتورية في الماضي والحاضر إلى الدور المهم والخطير الذي يلعبه الإعلام في ترسيخ المفاهيم المختلفة وبناء شخصية الإنسان حيث قامت هذه الأنظمة بتسخير الإعلام لخدمة مصالحها واستخدامه وسيلة لنشر الأفكار والمفاهيم التي تخدم سياساتها القمعية والتسلطية ومصادرة آراء الشعوب وتطلعاتها. وهذا ما حدث فعلاً في العراق حيث كان النظام يرفع شعار: إذا قال صدام قال العراق! وبعد سقوط الديكتاتورية وانهيار فيلقها الإعلامي أصبح العراق ساحة مكشوفة أمام وسائل الإعلام المختلفة.

■ إياد مهدي عباس

وحسب نظرية ملء الفراغ تحركت فيالق الإعلام المختلفة القريبة منا والبعيدة وانتشارها في العراق انتشار النار بالهشيم فتعالت الأصوات وتقاطعت الكلمات وعم الضجيج وامتلأت سماء الوطن بدخان الماكينة الإعلامية من دون رقيب ولا حسيب. فكان لها الأثر الكبير على حياة الإنسان العراقي المسكين الذي كان في يوم ما يبحث عن وسيلة واحدة من هذه الوسائل كي ينفس بها عن همومه وإيصال صوته إلى من يسمعه فلم يجد. وكان الكثير من هذه المؤسسات الإعلامية وبالأخص العربية منها هي من وقف موقف الضد من إيصال الصوت العراقي إلى المحافل الدولية طوال عقود من القهر والاضطهاد.

لقد كان للإعلام الداخلي والخارجي دور كبير ومؤثر على مجمل ما يجري في العراق من أحداث منذ سقوط الصنم إلى يومنا هذا .والمتتبع للساحة العراقية يمكن أن يرصد وبشكل واضح دور وسائل الإعلام حتى ولو كان هذا الراصد غير إعلامي أو صحفي فقط أن يكون لدية إحساس وانتماء وطني حقيقي يجعله قادراً على أن يميز بين الإعلام الوطني الهادف والبنّاء وبين الإعلام الفئوي المضلل الذي يمثل أجندات خارجية ضيقة تخدم بعض الأنظمة التي لا تنظر للعراق الجديد بعين الرضا والقبول. حيث وقفت وسائلها الإعلامية ومنذ اليوم الأول موقف الضد من التجربة الديمقراطية في العراق فجندت كل ما تمتلك من طاقات وقدرات إعلامية ليسود كل ما يسيء للعملية السياسية و محولة إفشال هذه التجربة الجديدة مستغلة ضعف الوعي الإعلامي لدى البعض من أبناء شعبنا، علماً ان بعض هذه المؤسسات كانت وما زالت بوقاً من أبواق النظام المقبور تطبل وتزمر ليلاً ونهاراً القائد الضرورة حيث أصبحت ركناً من أركان فيلقه الإعلامي المشهور.فأغدق الأموال الطائلة عليها حتى امتلأت جيوبها بدولارات القائد الملهم و كونت لها أرصدة ضخمة في البنوك العالمية من كوبونات النفط الشهيرة. فتراها الآن تبحث في العراق الجديد عن إعلام الإثارة فتتواجد حيث يقع التفجير والقتل ومنظر الدم وتقوم بتغطية كل الأحداث المؤلمة.

وبنفس الوقت نجد هذه الفضائيات والمؤسسات الإعلامية تتجاهل عن قصد كل ما هو ايجابي في العراق الجديد فتتعامى عن تغطية الانجازات العلمية والعمرانية والديمقراطية وحتى الانجازات التي تحققت على المستوى الإعلامي والصحفي حيث الكلمة الحرة البعيدة عن كل القيود والضغوط التي تقلل من مساحة حريتها. عكس ما يحدث في بعض الدول العربية التي لا تؤمن بالديمقراطية كمنهج سياسي واجتماعي حيث الكلمة الحرة فيها تكلف أحيانا مستقبل وحياة من يكتبها أو يقولها أو حتى من يقرأها كما كان يحدث في زمن الطاغية في العراق .

وهناك الفضائيات المأجورة والحاقدة والتي تدعي الاستقلالية في منهجها وهي بعيده كل البعد عن منهج الاستقلالية، فهي لا تدخر جهداً في تأليب أبناء الشعب العراقي بعضهم ضد البعض الآخر وخلق حالة من الاحتراب الطائفي بين مكونات أبنائه، مدعومة للأسف بالمال العربي من قبل جهات معروفة بتوجهاتها الطائفية البغيضة لغرض إثارة الفتن في العراق محاولة منها لإنتاج أجيال تبقى رهينة الصراعات الطائفية وتعميق الهوة بين المسلمين مستغلة الظرف الذي يمر به البلد.

والغريب في الأمر إن أول المنتفعين من هذه الحرية الإعلامية هي هذه المؤسسات التي لا تتوانى عن التشويه والتشكيك بكل منجز ايجابي وجديد يخدم الشعب العراق من دون أي رادع قانوني يردعها عن بث سمومها وأكاذيبها على أبناء شعبنا الجريح . علماً إن بعض هذه المؤسسات الإعلامية مدعومة من قبل دول لا تؤمن بالديمقراطية كمبدأ في الحياة السياسية ولا يوجد في قاموسها السياسي والاجتماعي شيء عن التداول السلمي للسلطة حيث الحكم في بعض هذه الدول قائم على مبدأ الوراثة والحاكم يعتبر خطاً أحمر لا يمكن المساس به فهو فوق الشبهات وان المساس به أو بأحد أفراد أسرته هو مساس بالثوابت الوطنية والقومية.

ونرى من واجبنا كمتابعين لما يحدث في الساحة العراقية أن نسلط الضوء على الدور الإيجابي والوطني التي تتبناه بعض الفضائيات والمؤسسات الإعلامية في إظهار الحقائق والعمل بمهنية عالية ومصداقية كبيرة في نقل الحدث والخبر بدون تحريف وتشفٍ هدفها هو تقديم الإعلام الحقيقي الذي يتخذ من شرف المهنة والإخلاص للوطن شعاراً في عملها كي تحول نشاطها الإعلامي إلى بلسم يداوي الجراح الذي سببه الإعلام المأجور.

وملخص القول إن سمات الإعلام الناجح والنزيه هي المصداقية والمهنية في نقل الأخبار وتغطية الإحداث والعمل بشفافية في كشف العيوب كي يتسنى علاجها وإصلاحها.

العلمانية ومستقبلها في العراق

■ محمد صادق جراد

ربما يتفق معي البعض على إننا دائما ما نسمع في مجتمعنا العراقي والعربي عبارة (ان الحل يكمن في العلمانية)

وإذا ما أردنا ان نعرف كيف ظهرت الحاجة للعلمانية فسنكتشف ان ظهور العلمانية ارتبط بشكل كبير بالصراع المرير الذي عاشه الغرب المسيحي عبر عقود طويلة ورحلة معاناة ما زالت عالقة في الذاكرة لدى المجتمع الغربي، حينما مارست الكنيسة طقوس التسلط والظلم ضد أبنائها وكانت حينها مصدراً للجهل والتخلف ومثالاً للقسوة ومعيناً للظالمين من رجال السلطة والإقطاعيين الذين كانوا يستعبدون الناس بمساعدة ومباركة رجال الكنيسة (الاكليروس)، ما جعل الكنيسة ورجال الدين عبئا ثقيلا على المجتمع الغربي وكابوسا مريعا يستغل الدين أبشع استغلال لتتحول الكنيسة الى الإقطاعي الأكبر الذي استعبد العامة وأذاقهم كل أنواع الظلم والعذاب .

وكان من الطبيعي ان يصدر رد فعل من اجل التخلص من هذه الممارسات والتدخلات التي قامت بها الكنيسة ،فكان ظهور الفكر الجديد (العلمانية) الذي دعا إلى إقامة الحياة وإدارة الدولة على أسس العلم الوضعية واعتماد العقل والابتعاد عن الدين وعدم السماح بالتصريح به إلا في حدود معينة لا تتعدى الكنيسة او داخل ضمير الفرد .

ومن هنا جاء تعريف جون هوليوك الذي عرف العلمانية بأنها: "الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض"

ويرى عدد آخر من المفكرين ان العلمانية هي فصل الدين عن الدولة (separation of church and state) وهو من أكثر التعاريف شيوعاً سواء في الغرب أو في الشرق، وهو يعني " فصل المؤسسات الدينية (الكنيسة او المسجد) عن المؤسسات السياسية (الدولة) " وبذلك تحصر العلمانية في المجال السياسي وربما الاقتصادي فحسب .

وتطور هذا التعريف في ما بعد، وأصبحت العلمانية تعني البعد عن الدين واعتباره علاقة روحية محصورة في المسجد أو الكنيسة، ولا علاقة له بشؤون الحياة العامة والخاصة. نستطيع ان نفهم من تعريف العلمانية إنها تهدف إلى نزع السلطة عن الدين وعن الإرادة الإلهية في تسيير أمور الناس وإعطائها بيد البشر الذين يعتبرهم التعريف أفضل من الخالق في تصريف الكون وتشريع القوانين وتحديد قيم الخير والشر .

ولقد جاء هذا التفسير الخاطئ نتيجة ممارسات الكنيسة التي ابتعدت عن التعاليم السماوية وبررت للغرب الابتعاد عن الدين الذي تم تحريفه من قبل رجال الكنيسة آنذاك .

وربما كان كل هذا مبرراً للغرب للبحث عن بديل ومخرج يمكّنهم من الإصلاح السياسي عبر تهميش دور الكنيسة واللجوء إلى العلمانية كبديل ناجح .

ولكن ما يؤاخذ عليه الغرب إنهم لم يبحثوا عن المسيحية الحقيقية والبعيدة عن التحريف واكتفوا باتخاذ قرارهم بسلب السلطة الإلهية حقها في تشريع وتنظيم حياة الناس .

ومن الجدير بالذكر هنا إن تلك الأسباب التي أدت إلى ظهور الحاجة للعلمانية في الغرب لم تكن موجودة إلى حد كبير في مجتمعاتنا الإسلامية لان الإسلام وشريعته السمحاء قد استوعبت مجالات الحياة كافة بالإضافة إلى إن مبادئ التشريع في الإسلام قد فسحت المجال للاجتهاد الذي يستجيب لاحتياجات الناس في كل زمان ومكان .

ويلاحظ الجميع ان الكثير من العلماء ورجال الدين المسلمين يدعون إلى التجديد الديني ومحاولة استنباط الأحكام بما يتلاءم مع روح العصر ويسهل التزام الشارع بتعاليم الدين.

هنا ربما علينا ان نتساءل ،لماذا نجد المطالبات اليوم بان تكون العلمانية هي الحل مادام الإسلام ديناً متجدداً وبإمكانه استيعاب مجالات الحياة ؟

الجواب ربما سيغضب البعض ،لان السبب يكمن في التطبيق الخاطئ للإسلام من قبل بعض الحكومات في الدول الإسلامية بالإضافة إلى الممارسات الخاطئة التي تقوم بها عصابات القاعدة ومنظمات وأحزاب إسلامية متشددة تعطي صورة مشوهة للإسلام وتلاقي رفضا شعبيا كبيرا ،الأمر الذي جعل الناس ينفرون من الدين لأنهم يعتبرون تلك المنظمات الإرهابية ممثلة للإسلام وبهذا الخلط بين الأوراق يبدأ المجتمع بمحاولة الهروب إلى العلمانية كحل بديل .

إذن هل سنجد مستقبلا للعلمانية في العراق ؟ الجواب ممكن ان نلخصه بأننا بدأنا نشهد ظهور علمانية جديدة في العراق نستطيع أن نسميها(الإسلام العلماني) الذي يسعى إلى الاعتماد على الحداثة والمدنية في إدارة شؤون الدولة بعيداً عن تأثير المؤسسة الدينية في البلد والتي تسعى بدورها الى ممارسة دورها الاجتماعي والديني دون التقاطع مع دور الدولة ومؤسساتها الدستورية .وهذه تعد فرصة كبيرة للأحزاب الإسلامية المعتدلة لبلورة صيغة جديدة من فن إدارة الدولة بأسلوب يعتمد الحداثة بمفهومها العلمي الجديد دون المساس بالمادة (٢) أولاً من الدستور العراقي والتي نجدها في جميع الدساتير العربية والإسلامية حيث تنص على (إن الإسلام دين الدولة الرسمي، وهو مصدرٌ أساس للتشريع).